الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République algérienne démocratique et populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة آكلي محند أولحاج

– البويرة –

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

تخصص: دراسات أدبية

Ministère de l'enseignement supérieur
et de la recherche scientifique

Université Akli Mhand Oulhadj – Bouira –

Tasdawit Akli Muhend Ulhag – Tubirett –

Faculté des lettres et des langues

رواية ساق البامبو لسعود السنعوسي

"دراسة موضوعاتية"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ليسانس نظام (ل.م.د) في الأدب العربي

إعداد الطالبة:

❖ **قنون فرح**

تحت إشراف الأستاذة:

❖ **بودالية رشيدة**

السنة الجامعية: 2020/2019

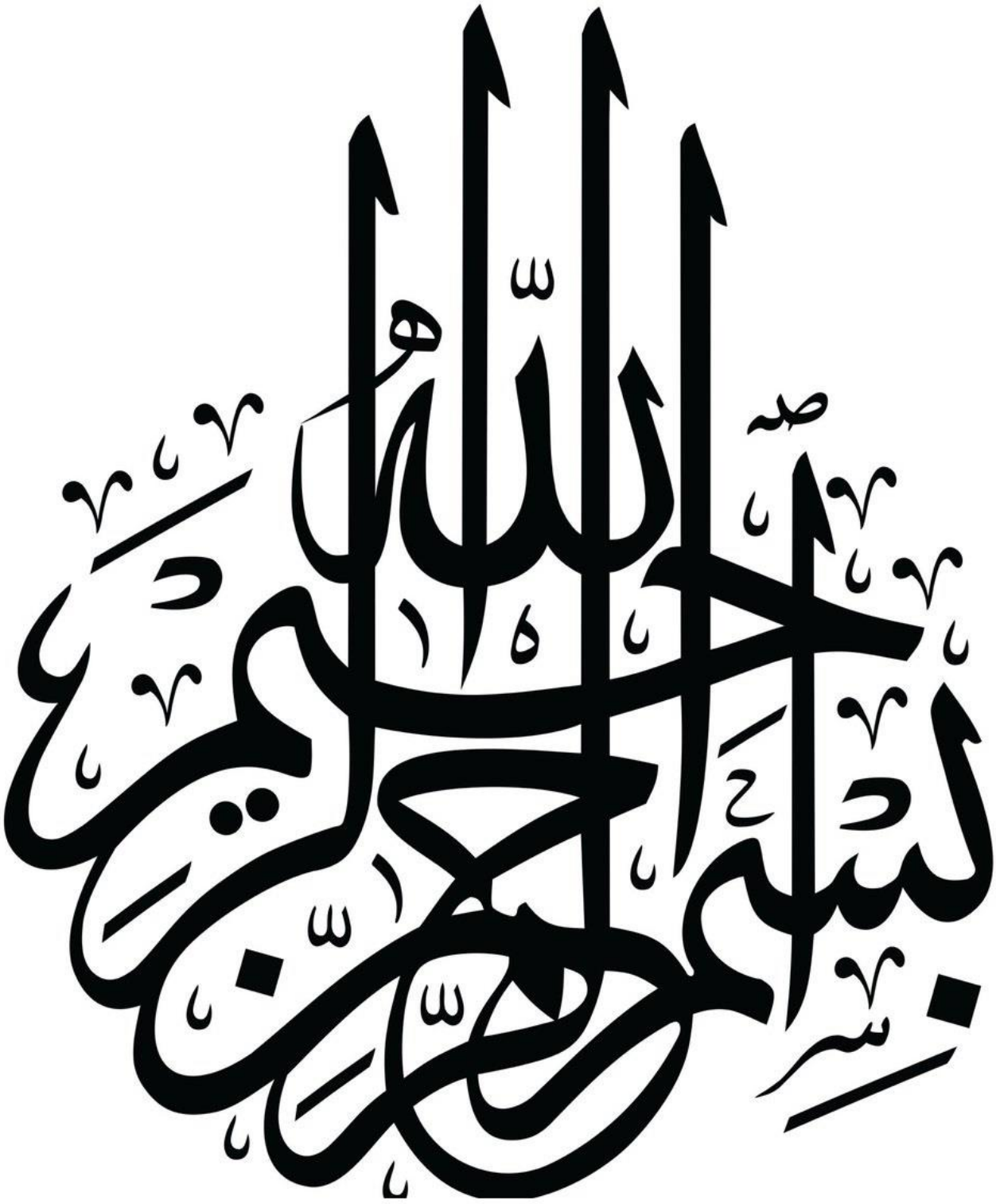
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۖ * جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾

صدق الله العظيم

شكر وتقدير

اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا.

الحمد لله الذي وهبنا نعمة العقل ويسّر لنا السبيل وأبلغنا مبالغ العلم مما شاء وقدر والذي خص سيدنا وإمام المرسلين، لكمال الفصاحة وأنطقه بجوامع الكلم فأعجز والصلاة والسلام على أفضل خلق الله، الذي نحن على سيرته سائرون، وسنته مقتدرون صلوات الله عليه وسلامه.

أسأل الله أن يتقبّل هذا العمل خالصاً لوجهه تعالى.

نشكر الأستاذة المشرفة "بودالية رشيدة" على توجيهاتها العلمية والمنهجية التي كانت لنا العون الكافي لإنجاز هذا العمل، كما نشكر كل الأساتذة الذين كان لنا يد عونٍ في إنجاز هذا البحث.

الإهداء

بعد أن أنعم الله علي وأكرمني بإنجاز هذه الرسالة أهدي ثمرة جهدي إلى أصلُ الحبّ منبع الحنان والكيان نبض الصداقة إلى من عانقت الليل وصافحت النهار ونذرت عمرها وتجرّعت المرار لعلها ترى يوماً لغرسها الثمار أمي الغالية.

أبي العزيز، تعجز كلماتي عن شكرك وتقديرك على كل ما فعلته معي طوال حياتي يا أعز الناس على قلبي وأحرسهم عليا ومصدر فخري واعتزازي الدّائم شكراً يا أجمل إنسان، وقفت بجانبي من زمان، وأعطيتني كل الحب والحنان، أنت أعظم أب ومعك أشعر بالأمان.

إلى رمز الالفة والمحبة، منبع الصفاء إخواني الأعزاء وزوجاتهم "رابح"، "فتحي"، "عبد الحق"، "ياسر".

إلى سندي في الحياة أختي الوحيدة أمال وزوجها "محمد"

إلى كل من يجري في عروقي حبهم وينبض قلبي بحبهم إلى براعم البيت: "ملاك"، "مرام"، "فرسان"، "مسلم"، "رضا"، "إياد"

إلى معروفكم الدائم، وخيركم لا يزال قائم، شكراً على وقوفكم بجانبي وأنا هائم: سارة، فتيحة.

إلى صديقاتي وأحبابي: فيروز، ندى، شهيناز، رحمة، هدى، هبة، بيبة.

أتمنى من الله عز وجل أن يعطيكم الصحة والعافية، شكراً لكم على ما قدمتموه لي من أحاسيس نابعة من قلوبكم وداما الله عزكم ودام عطاكم.

قنون فرح

فهرس

الموضوعات

العنوان	الصفحة
مقدمة	6-5
الفصل الأول: التعريف بالمنهج الموضوعي: معاييره وخطواته	20-9
أولاً: التعريف بالمنهج الموضوعي	14-9
1- لغة	11-9
2- إصطلاحاً	14-11
ثانياً: معايير المنهج الموضوعي	17-14
1- الإطرادية	15-14
2- الإلحاحية	16-15
ثالثاً: خطوات المنهج الموضوعي	20-17
1- الإحصاء	18-17
2- التحليل	19-18
3- البناء	20-19
الفصل الثاني: البنية الموضوعية وأبعادها	41-23
أولاً: الموضوع الرئيسي: تجسداته وقضاياه	30-24
ثانياً: الموضوعات الفرعية	41-30
1- العمالة الأجنبية	32-31
2- إزدواجية الهوية	35-33

3- تداخل الدين والثقافة والمجتمع	41-35
3-1- الإسلام	37-35
3-2- المسيحية	38-37
3-3- المستوى المعيشي	40-39
3-4- العادات والتقاليد	41-40
الخاتمة	43
قائمة المصادر والمراجع	46-45

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله ربي العالمين، خالق النور الواحد الأحد، رافع السماء بلا عمد حمداً كثيراً نحمده ونستعينه والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد.

كان لظهور الرواية العربية حدثاً كبيراً لما يقدمه هذا الجنس الأدبي من خدمة كبيرة للأدب والثقافة العربية. وهذه الرواية استطاعت أن تكسب وِدَّ القارئ العربي لأنها تجسد صورة لواقع هذا المجتمع. وهذا الأخير الذي أثّر بشكل واضح في الأدباء وعلى رأسهم الأديب سعود السنعوسي وهذا ما برز فعلاً في روايته وأعماله الأدبية، وقد اتخذنا أحد أعماله نموذجاً للدراسة. طرحت الرواية تساؤلات نقدية حول تداخل الدّين والثقافة والمجتمع عند العرب بصفة عامة وأزمة الهوية بصفة خاصة، فهو عمل أدبي روائي كأنه تجسيد فعلي لحدث واقعي وهذا ما لمسناه في رواية ساق البامبو التي حازت بالجائزة العالمية للرواية العربية لعام 2013، وكانت محور لبحثنا وقد شدّنا في ذلك الرغبة للدخول إلى عالم هذا الروائي.

هذه الرواية تتناول بعض القضايا والأحداث التاريخية والسياسية والدينية. حاولنا الغوص في أفكار وأبعاد "ساق البامبو" بشكل موضوعاتي حيث أننا عنونّا بحثنا هذا بدراسة موضوعاتية لرواية "ساق البامبو" لسعود السنعوسي. وعلى هذا الأساس قمنا بطرح الإشكاليات الآتية: ما هو المنهج الموضوعاتي؟، وما هي البنية الموضوعية وأبعادها؟

وقسمنا هذا البحث إلى فصلين وفق الخطة التالية حيث ضم فصلين يتقدمها مقدمة خاتمين إياها بخاتمة.

عنون الفصل الأول بالمنهج الموضوعي معاييره وخطواته حيث تناولنا فيه التعريف بالمنهج الموضوعي والمعايير الخاصة به والخطوات المتبعة في ذلك.

أما الفصل الثاني فقد عنون بالبنية الموضوعية وأبعادها وتناولنا فيه المواضيع الذي حصلنا عليها، فكان الموضوع الرئيسي هو البحث عن الهوية، أما الأبعاد الثانوية التي ولدها الموضوع الرئيسي فهي: العمالة الأجنبية في دول الخليج، إزدواجية الهوية، تداخل الدين والثقافة والمجتمع "الإسلام، المسيحية، العادات والتقاليد، المستوى المعيشي". ونصل بعد ذلك إلى الخاتمة التي ذكرنا فيها النتائج التي استخلصناها من هذه الدراسة.

وقد اعتمدنا في عملنا هذا على بعض المراجع: عبد الكريم حسن المنهج الموضوعي، سعيد علوش التيار الموضوعاتي وتفجير المكبوت، محمد عزام النقد الموضوعاتي، يوسف وغليسي مناهج النقد الأدبي، غسان بديع السيد نقد الموضوعات، بالإضافة إلى ما وجدناه في بعض المراجع الأخرى فكانت العون لنا ولو بالقليل.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يكون هذا العمل صالحاً لوجهه سبحانه، راجين أن نكون قد وفقنا فيه ولو بالقليل.

إن الاعتراف بالجميل يدعوني إلى أن أوجه شكري لكل من أسدى إليّ يد العون والمساعدة وأول هؤلاء أساتذتي المشرفة "بودالية رشيدة".

وفقنا الله لما يحبه ويرضاه

الفصل الأول:

التعريف بالمنهج الموضوعي:

معاييره وخطواته

الفصل الأول: المنهج الموضوعي: معاييره وخطواته

أولاً: التعريف بالمنهج الموضوعي

1. لغة
2. إصطلاحاً

ثانياً: معايير المنهج الموضوعي

1. الإطاردية
2. الإلحاحية

ثالثاً: خطوات المنهج الموضوعي

1. الإحصاء
2. التحليل
3. البناء

أولاً: التعريف بالمنهج الموضوعي:

1. لغة:

الموضوع هو المبدأ الذي تلتقي عنده كافة المفاهيم التي تؤسس المنهج الموضوعي « thème » مما يضع الموضوع في المقام الأول بين بقية المفاهيم[1].

الموضوعاتية مشتقة من موضوع thème والموضوعي objective وكلمتي object-thème في الفرنسية تحملان نفس المعنى، ولكن الأولى ذات أصل يوناني والثانية ذات أصل لاتيني، فكل ما هو « thème » بوصفه موضوع تفكير أو تأمل أو نظر هو « object »، وكل ما هو « object » هو « thème » لأنه قابل لأن يكون موضوع تفكير وتأمل أو نظر، ولكن object تتقابل مع sujet على عكس كلمة thème التي لا تستطيع تحقيق هذا التقابل، ومن هنا يبدأ الالتباس في الكلمة العربية « موضوعية » والتي تتضمن المعنيين، ولكن السياق في أغلب الأحيان كفيل بتمييز المراد من هذه الكلمة[2].

---

[1] – يقترح الدكتور "جوزيف شريم" ترجمة الكلمة الفرنسية « thématiques » إلى العربية « مواضيعية » وذلك تجنباً للالتباس الذي تثيره كلمة « موضوعية » والتي تعبر عادة عن الكلمة الفرنسية.
(مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الانتماء القومي، العدد 23، ص 112)
* أما الدكتور « هاشم صالح » فإنه يقترح استخدام كلمة « موضوعاتية »
(المرجع نفسه – العدد 40 – ص 22).

[2] – ينظر عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعي، المنهج الموضوعي نظرية وتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ط1، 1411 هـ – 1990 م، ص 37.

هناك عدّة تعاريف في المعاجم العربية تندرج ضمن مصطلح « موضوعاتية »، ففي اللغة هي من "« وَضَعَ »، الواو والضاد والعين أصل يدل على الخفض للشيء وحطه"[1] إذن مادة وضع بهذا الترتيب تحوي معنى الخفض.

كما ورد تعريف آخر لمصطلح الموضوع في لسان العرب لابن منظور تحت مادة " (وَضَعَ)، والوضع: ضد الرفع، وضعه، يضعه، وضعاً وموضوعاً وأنشد ثعلب بيتين فيهما: "موضوع جودك ومرفوعة" عُني بالموضوع: ما أضمرهُ ولم يتكلم به، والمرفوع : ما أظهرهُ وتكلم به"[2] جاء في هذا التعريف تفريق واضح بين الموضوع والمرفوع فالموضوع هو ما لا يعلمه كل الناس أما المرفوع فهو ما يعلمه كل الناس.

إضافة إلى أنه ورد أيضاً تحت هذه المادة "وتواضع القوم على شيء: إتفقوا عليه، وأوضعته في الأمر إذا وافقته فيه على شيء، ووضع الشيء في المكان: أثبته فيه، والمواضعة: المناظرة في الأمر والمواضعة: أن تواضع صاحبك أمراً تناظره فيه"[3].

"وَضَعَ، يَضَعُ، وَضْعاً ومَوضُوعاً: أسرع في سيره، ويقال: وَضَعَ السرابُ على الآكام: لمع وسار، كما يقال وَضَعَ الله المتكبّرين، ووضع فلان نفسه والشيء: ألقاه في يده وحفظهُ ضد رفعه «ضد رفعهُ»، ويقال: وَضِعَ الرجل في تجارته « يَوْضَعُ » وَضْعاً: خسر فيها"[4].

[1] – إبن فارس: مقاييس اللغة، مجلد 6، باب الواو والضاد وما يثلثهما، ص 117.

[2] – إبن منظور: لسان العرب، مجلد 15، مادة و.ض.ع، ص 230.

[3] – المرجع نفسه، ص 231.

[4] – المعجم الوسيط: دار اللغة العربية، القاهرة، ص 1039.

المراد بالوضع هو البسط، وأراء بالوضع هو الإهمال وترك المعالجة بالعقوبة[1]. رغم اختلاف التعاريف إلا أنها إشتركت في دلالاتها على نتاج فكري توصلت إليه عدّة أطراف بعد نقاش أن الموضوع لغة هو إشتقاق من الفعل وَضَعَ.

2. إصطلاحاً:

يعترف جل النقاد والباحثين بصعوبة الاتفاق على إيجاد تعريف موحد لمصطلح الموضوع وهذا راجع إلى الخلفيات الفكرية التي يستند إليها، وهي خلفيات ابستمولوجية ونظرية تختلف من معرف إلى آخر.

حدد الموضوع في نطاق النقد الموضوعاتي على شكل "شبكة من الدلالات أو عنصر دلالي متكرر لدى كاتب ما في عمل ما"[2].

نجد يوسف وغليسي حيث يقول "الموضوعاتية thématiques « أو حتى كما يسميه بعض الفرنسيين ... علم الموضوع thématologie » هي الآليات المنهجية المسخرة لدراسة الموضوع في النقد الأدبي"[3] فعلى الرغم من أن هاذين المصطلحين يعودان إلى أصل واحد وهو موضوع « thème » إلا أن الاختلاف يكمن في الإضافة « tique » التي قابلت في اللغة العربية « ية » وبالتالي يصبح مصطلح الموضوع موضوعية.

---

[1] – إبن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت، مجلد 06، ط1، 1997، ص 455.

[2] – ينظر يوسف وغسيلي: مناهج النقد الأدبي، ص 148 – 149.

[3] – المرجع نفسه، ص 148.

هناك من ترجم « thème » إلى خمسة ألفاظ « فكرة – موضوع – قضية – تيمة – خيط » [1].

رأى « باشلار » أنه لا وجود لموضوع دون ذات، وأن وظيفة الظاهراتية ليست في وصف الأشياء، كما هي في الطبيعة فهذه مهمة عالم الطبيعة، ذلك أننا حين نحلم نحن ظاهراتيون دون أن نعلم، فالموضوع يتحدد عنده من خلال غيابه ومعايشتنا له، إذن هناك « موضوع » و « ذات » واعية و«حلم» ينشأ بتأثير التقاء الذات بالموضوع، وهكذا يكون الناقد ذاتياً وموضوعياً في آن واحد. وهكذا فإن شغف باشلار بالتحليل النفسي كعلم جديد ومعرفته بفرويد ويونغ جعلاه يسلم بقراءة نفسية الأثر الأدبي ويجعلها وسيلة نموذجية لمعرفة الكاتب، ونزوعه إلى استقصاء الأسس المعرفية والعلمية، والملاحقة الفينوميولوجية للأشياء والكلمات في الابستيمولوجيات من منظور العلوم الإنسانية[2].

كما عرف ميشال كولو الموضوع على أنه "مدلول فردي وخفي ومادي، يعبر عن العلاقة الانفعالية لكائن ما، مع العالم الحساس، يظهر ضمن النصوص من خلال تكرار متجانس التبادلات، ويشترك مع موضوعات أخرى، من أجل بناء الحصاد الدلالي والشكلي لعمل ما"[3] فالموضوع هو المعنى الذي يريد المؤلف التعبير عنه وذلك عن طريق التكرار.

أما « دومينيك منغينو » عرفه "الموضوع هو thème المرادف لكلمة topic ويتعدد في كل شكل من أشكاله، بأنه بنية دلالية كبرى للنص، ويتحدد في نطاق النقد الموضوعاتي على شكل شبكة من

[1] – محمد عناني: معجم المصطلحات الأدبية الحديثة، الركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، لبنان، ط 1، 1996، ص 117.
[2] – ينظر سعيد علوش: التيار الموضوعاتي وتفجير المكبوت، الفكر العربي المعاصر، بيروت، ع 22، 1986، ص 19.
[3] – يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط 1، 2007، ص 150.

الدلالات، أو عنصر دلالي متكرر لدى كاتب ما في عمل"[1] أي أن الموضوع هو عبارة عن نطاق يحمل جميع المعاني العامة المتكررة لكل مبدع.

"يشتق مصطلح « الموضوعاتي/thématique » من الحقل المعجمي الفرنسي من كلمة thème، وهي « التيمة »، وترد هذه الكلمة بعدة معاني مترادفة (الموضوع والغرض والحوار والفكرة الأساسية والعنوان والحافز والبؤرة، والمركز والنواة الدلالية ... إلى آخره). ويقابل كلمة thème عند اللسانيين الوظيفيين الجدد، مصطلح التعليق Rhème، لأن التعليق عبارة عن موضوعات جديدة أو أخبار تسند إلى المسند إليه أو تضاف إلى الفكرة الرئيسية المحورية أو النواة البؤرية"[2].

يرى محمد عزام بأن الموضوعاتية هي "التيمية وتدلّ على الموضوعات الكامنة في الأثر الأدبي، والتيمية thème هي الجذر لهذه الموضوعات وهذا الجذر يتصف بصفات محدّدة هي: القرابة السّرية في العلاقات الخفية التي تنسجها عناصر الموضوع، والثّبات الذي يعني أن الموضوع هو النقطة التي يتشكل حولها العالم الأدبي"[3].

يتمثل المنهج الموضوعاتي عند ريشارد في إستنطاق مدلولات الصياغة اللفظية عبر ألفاظها وتراكيبها وفق مبدأ التقدم والارتداد، وإضاءة المستوى اللغوي بالمستوى النفسي وبالعكس[4].

---

[1] – يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط 1، 2007، ص 150.

[2] – جميل حمداوي: المقاربة النقدية الموضوعاتية، ص 04.

[3] – محمد عزام: وجوه الماس البنيات الجذرية في أدب علي عقلة عرسان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998م، ص13.

[4] – محمد عزام: النقد الموضوعاتي، الموقف الأدبي، دار الكتاب العربي، دمشق، ع365، 2000، ص 22.

والموضوع عنده هو "وحدة المعنى ووحدة حسية أو زمنية أو علائقية مشهود لها بخصوصيتها عند كاتب ما"[1] يكمن الموضوع في القرابة السرية أو العائلة اللغوية التي يمكن عن طريقها تحديد موضوع ما وتستند هذه الأخيرة إلى ثلاث: الاشتقاق، الترادف، القرابة المعنوية.

ثانياً: معايير المنهج الموضوعي:

للمنهج الموضوعي عدّة معايير تمهد للناقد الطريق بحيث بفضلها يستطيع ممارسة عمله النقدي، تلك المعايير تساهم في إظهار أفكار الكاتب وملامح تفكيره، وتسهل له الطريق من أجل اختيار موضوعه.

ومن بين أهم المعايير التي يتخذها المنهج الموضوعاتي وسيلة له نجد:

1. الإطرادية:

يلاحظ في النص تكرار موضوعات بعينها دون سواها وهذا ما يعرف بالإطرادية، فهي مقياس في تحديد الموضوعات، وتعتبر الخطوة الأولى التي يعتمد عليها « ريشارد » في نقده حيث عرفها على أنها: "هي المقياس « le critère » في تحديد الموضوعات التي تشكل المعمارية الغير مرئية «l'invisible architecture » لهذا العمل. وبهذا فهي تزودنا بمفتاح تنظيمية، وهذه الموضوعات هي التي تتطور على امتداد العمل الأدبي، وهي التي تقع عليها بغرارة استثنائية، فالتكرار أينما كان

[1] – محمد عزام: النقد الموضوعاتي، ص 21.

دليل على الهوس"[1] ولقد استعمل « ريشارد » مصطلح الهوس دليل أنه مهم في تعزيز مفهوم الإطرادية لأنه يشكل أحد مفاتيح العلاقة بين المنهج الموضوعي ومنهج التحليل النفسي.

تناول « ريشارد » مفهوم الإطراد بتحفظ دون أن يجعله المعيار الوحيد وذلك أن الغزارة ليست المعيار النهائي لتحديد الموضوعات المهنية في العمل الأدبي. فمن التكرار ما قد يكون بلا قيمة دالة أو معنى جوهري[2].

وقد انتهى « ريشارد » إلى أن بعض الموضوعات تتكرر في العمل الإبداعي، وهذا ما يوصلنا إلى مفهوم الإطراد، ومن جهة أخرى فإن هذه الموضوعات تقوم بمهمة تنسيق الحياة الخفية في العمل الإبداعي وهذا ما يؤدي إلى التأمل في الوظيفة النوعية التي يشغلها الموضوع[3].

على الرغم من أن مبدأ الإطراد يحدد الموضوعات المهيمنة في العمل الأدبي إلا أنه لا يكفي وحده، وهذا ما يجعل تواجد مبدأ آخر إلى جانبه ألا وهو الإلحاح.

2. الإلحاحية:

يعتبر الإلحاح القاعدة التي يستند إليها الموضوع الرئيسي في تحديد الموضوعات الفرعية، إن قيمة أي موضوع تتحدد عن طريق إلحاحية « Sa capacité d’insistance » وقدرته على التمفصل « Sa puissance d’articulation ». ولا تأخذ الموضوعات معنى إلا من خلال علاقة الواحد

[1] – عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعي نظرية وتطبيق، ص 41.

[2] – المرجع نفسه، ص 42.

[3] – المرجع نفسه، ص 41.

منها بالآخر في هذا الفضاء العالمي « espace mondain » والحميمي « intime » في نفس الوقت. هذا الفضاء الذي يسميه « جورج بوليه » بالمسافة الداخلية « distance intérieure »، و « جان ستاروبنسكي » بالعين الحية « l'œil vivante »، وأسميه بالكون التخييلي « Univers imaginaire »"[1] فقدرة الموضوع على التفرع والتمفصل تكسبه أهمية نوعية، ويتضح معنى الموضوع من خلال علاقة الواحد منها بالآخر فكما تتحد علاقة الإنسان مع غيره، تتحد علاقة الموضوع بغيره من النصوص.

"الموضوعات تميل إلى أن تنتظم كما يحدث في البنى الحية، إنها تترابط في مجموعات مرنة يهيمن عليها قانون التشاكل « isomorphisme » والبحث عن أفضل توازن ممكن"[2].

ومن الموضوع يميز « ريشارد » عنصراً أكثر خصوصية ومحسوسية وهو الترسيمية «le motif»، وهذا العنصر ينتشر على امتداد العمل الأدبي، بمعنى أنه يتكرر ويرتبط بطريقة مميزة، ويتطور الموضوع حسب نسق هذه الترسيمات التي تلتقي على أساس المنطق المقولاتي[3].

[1] – عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعي نظرية وتطبيق، ص 43.

[2] – المرجع نفسه، ص 43.

[3] – المرجع نفسه، ص 43.

ثالثاً: خطوات المنهج الموضوعي:

يقدم المنهج الموضوعاتي على خطوات مهمة الواجب العمل بها عند القيام بدراسة أي عمل أدبي ما.

ومن بين أهم هذه الخطوات نجد:

1. الإحصاء:

تناول مختلف الباحثون الإحصاء وعلاقته بالجانب المفرد التي حيث يقول بديع السيد: "تتعلق مفردة الإحصاء بالجرد، وفكرة الإحصاء جاءت من المجموعة اللغوية التي تتردد مفرداتها بكثرة، لابد وأن يكون لموضوعها أهمية متميزة بالمقابلة مع الموضوعات الأخرى والعكس صحيح، إذ أن اهتمام الكاتب بموضوع ما يجعله يضع الموضوع في مجاله المعرفي لاعتماده أدوات ذلك المجال والتفسير والإحصاء لمفردة معينة، إنما إحصاء كثافة إشتقاقاتها وفي كل الجذور اللغوية التابعة لها، ويأتي مصطلح « الجرد » كمفرد لمصطلح الإحصاء"[1].

تأتي مصطلحات « الجرد » و « التضنيد » و « التصنيف » كمفردات تخدم نفس المعنى للإحصاء، كذلك العد « Recensement » مصطلح يقابل الإحصاء.

تحدث « ريشار » من جهة أخرى عند تطرقه للحديث عن الإحصائيات "وعلى الرغم من أنه لا جدال في ما تقدمه الإحصائيات فإنها لا يمكن أن تقود إلى حقائق نهائية"[2]. ومن خلال هذا القول

[1] – غسان بديع السيد: النقد الموضوعات، مجلو علامات، ع 24، 1997، ص 254.

[2] – عبد الكريم حسن: الموضوعية البنيوية في شعر السياب، ص 35.

يتبين يقظة ريشار إلى نسبة النتائج التي تنتج عن عملية الإحصاء إلا أنه يبقى مرحلة هامة في تحديد الموضوعات الطاغية والمهيمنة على النص.

2. التحليل:

"فرز وتصنيف ووصف، أي البحث عن إلحاحات لسانية وأسلوبية ورمزية وعرض العناصر الشكلية الحية والكشف عن علاقاتها السرية ومحاولة ردها إلى مركز واحد هو الموضوع أو الذكرى أو الحدث"[1] وذلك عن طريق تحليل جل الأعمال الأدبية والبحث في ما بين العلاقات ومحاولة ربطها بالموضوع المدروس.

يرتكز المنهج الموضوعي على خطوة هامة ألا وهي التحليل، وتقوم هذه العملية في إطار محدد يهدف إلى إبانة الثغرات البعيدة أو العميقة للموضوع، وخصائصه وتحديد معالمه واكتشاف الفكرة المهيمنة والمسيطرة على بقية الأفكار من أجل اكتشاف الهدف الذي يرمي إليه الموضوع.

ونجد التحليل عند « جون بول ويبر » حيث عرفه على أنه "مجموعة من الإجراءات العملية التي يقوم بها الدارس في إطار النقد الموضوعاتي للكف عن الموضوعة الأساسية المهيمنة على كامل الأثر الفني"[2].

[1] – نبيل أيوب: نص القارئ المختلف، ط1، مكتبة لبنان، 2011، ص 292.

[2] – حفصة بو طالبي، عالم أبو العيد القصصي، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص 16.

والتحليل عند « ريشار » هو بحث عن المعنى وهذا البحث وصفي بشكل خاص «descriptive» ونفسي أحياناً « interprétative » ولم لا؟ أوليس التحليل النفسي بحث؟ عن المعنى الباطني من خلال المعنى الظاهري؟[1].

3. البناء:

يعد البناء خطوة أخيرة للمنهج الموضوعي بحيث يتم فيها جمع النتائج المحصل عليها لاكتشاف البنية الموضوعية للعمل الأدبي، والتي لا يمكن أن تتم إلا من خلال الموضوع الرئيسي، ولهذا نكون قد وصلنا إلى شبكة العلاقات الموضوعية، حيث هذه الأخيرة تعبر عن بنية الموضوعات في مرحلة معينة.

"شبكة أشبه ما تكون بالشجرة التي تمل الموضوع الرئيسي جزأها وتمثل الموضوعات الفرعية غصونها"[2].

والبناء عند نبيل أيوب هو "بناء عالم المبدع الخاص وكونه الخيالي والحسي بما توفر للناقد من مواد، والكشف عن علاقة الذات بالموضوع والعالم بالوعي والمبدع بعمله"[3].

"تبتدئ القراءة الموضوعاتية بعمل إحصائي يليه إجراء تحليلي ينتهي ببناء تركيبي على أن يلاحق القارئ امتدادات الموضوعات وتحولاته"[4]. ومن هنا يتبين أن القراءة الموضوعاتية تقوم على ثلاث

[1] – عبد الكريم حسن: الموضوعية البنيوية في شعر السياب، ص 37.
[2] – المرجع نفسه، ص 39.
[3] – نبيل أيوب: نص القارئ المختلف، ط 1، مكتبة لبنان، 2011، ص 293.
[4] – المرجع نفسه، ص 293.

خطوات « الإحصاء – التحليل – البناء » متصلة فيما بينها حيث لا تكاد تصل إلى الخطوة الثانية دون المرور على الأولى، وإلى الثالثة دون المرور على الثانية، وهكذا فإن البناء يحتاج إلى الإحصاء والتحليل.

الفصل الثاني:

البنية الموضوعية وأبعادها

الفصل الثاني: البنية الموضوعية وأبعادها

أولاً: الموضوع الرئيسي: تجسداته وقضاياه

- البحث عن الهوية

ثانياً: الموضوعات الفرعية:

1- العمالة الأجنبية في دول الخليج

2- إزدواجية الهوية

3- تداخل الدين والثقافة والمجتمع

3-1- الإسلام

3-2- المسيحية

3-3- المستوى المعيشي

3-4- العادات والتقاليد

لقد أصبح من الضروري التأكد على أهمية ودور الرواية في رصد التدفقات الوحدانية للإنسان ورسم الاستراتيجية الفكرية الجمالية بفضل توفرها الرواية على وسائل فنية وجمالية تكفلان لها استطلق النوازع الإنسانية العاجزة في الكثير من الأحيان من سد منافذ الإغراء والحوار أمامها.[1]

رواية "ساق البامبو" تتميز عن جميعها أنها وجدت للبحث عن الهوية في ظل أزمتها ورفض المجتمع حيث أن الهوية مشكلة نفسية وتجربة شعورية، خاصة بالإنسان والمجتمع، فالإنسان قد يتطابق مع نفسه أو ينحرف عنها، والهوية أن يكون الإنسان متطابقاً مع ذاته.

لقد وضع أمامنا تحركات الرجل والمرأة والولد، حيث سمي الرجل راشد والولد عيسى وقد كانت المرأة المرافق للولد في جل أحداث الرواية أما الموضوع الذي تعالجه الرواية أزمة البحث عن الهوية والذات في ظل رفض المجتمع وقضايا الدين والوجود والصراع الاجتماعي فكان الموضوع الرئيسي هو البحث عن الهوية.

[1] – ينظر: يشير بوجيرة محمد: بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري، ج1، د ط، 2002، ص 93.

أولاً: الموضوع الرئيسي: تجسداته وقضاياه:

البحث عن الهوية:

تكشف رواية ساق البامبو المشاكل والعوائق المجتمعة في ظل البحث عن الهوية وقد وجدنا هذا متجلياً بعد القيام بعملية الإحصاء، فكانت النتيجة هي الحديث عن الهوية ورفض المجتمع.

يتخذ سعود السنعوسي شخصية رئيسية هوزية/عيسى شاب من أم فلبينية وأب كويتي كان قد تزوج عرفي سرّاً من الخادمة، نتج عن هذا الزواج الطفل هوزيه لينتقل هذا الطفل لاحقاً للعيش مع والدته حيث قضى هناك طفولته ومراهقته في ظل أوضاع مزرية بعد أن اضطر الأب لترحيل زوجته وإبنه ذلك نزولاً عند رغبة أمه وانطباعاً للمجتمع الكويتي الذي يرفض زواج رجل من عائلة كبيرة من خادمة فلبينية وخوفاً من كلام الناس وحفاضاً على سمعة العائلة كونها من طبقة راقية. سعى هوزيه للعودة إلى الكويت بحثاً عن والده ووطنه ويطالب بحقوقه بأن يكون كويتياً رغم ملامحه ولغته الفلبينية.

تدور أحداث الرواية من خلال التحركات التي رصدت لنا الأوضاع التي عاشها عيسى/هوزيه التائه في زحام البحث عن الذات.

لقد كان الشاب هوزيه/عيسى يعيش أجواء مليئة بالإضطراب والدهشة والخوف، فقد كان يعيش أزمة هوية في كلا البلدين، فهو "ARABO" العربو في الفلبين نسبة إلى أبيه الكويتي، والفلبيني في الكويت نسبة إلى ملامحه الفلبينية.

قسمت الرواية إلى ستة أجزاء عنوان كل جزء منها بعنوان يقضي بمكنون الفصل، إضافة إلى أن خوسيه ريزال بطل الفلبين القومي يردف مع كل جزء مقولة تلخص محتوى الجزء.

- **الجزء الأول:**

عنون "عيسى قبل الميلاد"[1]، استهل الكاتب بمقولة خوسيه ريزال وهي: "لا يوجد مستبدون حيث لا يوجد عبيد".[2]

يحكي الكاتب في هذا الجزء عن اختلاف تعدد تسميات هوزيه/عيسى بطل الرواية إذ يعود هذا الاختلاف إلى عدة أسباب "خوسيه، هوزيه، Jose، عيسى، ARABO، الفلبيني ...". عيسى/هوزيه إبن جوزافين فتاة حالمة من عائلة فقيرة تطمح لأن تنهي دراستها لتعمل في وظيفة محترمة، كانت لا تحلم بأكثر من أن تقتني أو تستعير كتاباً حيث تقول: "قرأتُ الكثير من الروايات، الخيالية منها والواقعية. أحببتُ سندريلا وكوزيت بطلة البؤساء، حتى أصبحت مثلهما، خادمة، إلا أنني لم أحظ بنهاية سعيدة كما حدث معهما[3]. كانت أمهم مريضة طريحة الفراش ووالدهم كان كل همه مراهناته على مصارعة الديوك مما دفع بأختها آيدا التي كانت تكبرها بثلاثة سنوات عندما تحالف الجوع والدتها والديون التي أثقلت كاهل والدها الذي أفنى ماله على تربية ديوك المصارعة. للعمل في ملهى ليلي بثمن لا يكاد يلبي حاجيات الأسرة "ليس الألم أن يكون للإنسان ثمن بخس، بل الألم، أن يكون للإنسان ثمن"[4]. والنتيجة من هذا العمل أطفال بلا آباء. بعد كشف حمل آيدا ووضعها لمولودتها طردت من العمل حيث كان مصدر رزق للعائلة. جاء دور جوزافين البنت الصغيرة الطموحة في وقت كانت فيه على وشك أن تكون نسخة من أختها. إلا أن الأقدار شاءت أن تهاجر لتعمل

---

[1] – سعود السنعوسي: ساق البامبو، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت لبنان، 2012، ص15.

[2] – المصدر نفسه، ص15.

[3] – المصدر نفسه، ص19.

[4] – المصدر نفسه، ص20.

خادمة في الكويت رغم أن ذلك كان بعد عناء كبير بحيث كان مصيرها في التغرب عن الأهل عن الوطن أفضل بكثير من مصير آيدا.

عملت جوزافين في بيت عائلة من الطبقة الراقية تزوجت من إبنهم عرفي سراً. حملت منه، لكن عندما علمت أمه سيدة البيت أمرت إبنها بطردها "اقذف بها خارجاً وانظر كيف ستحل البركة عليك ... ومن ثم عد إلى بيتك، وستجدني، بقلب الأم، أغفر لك ذنبك العظيم"[1]. اضطر لترحيل زوجته وإبنه من الكويت وذلك كان نزولاً عند رغبة أمه وانطباعاً للمجتمع الكويتي.

- **الجزء الثاني:**

عنوان بـ "عيسى ... بعد الميلاد"[2]. استهل الكاتب في هذا الفصل كعاداته بمقولة خوسيه ريزال "إن الذي لا يستطيع النظر وراءه إلى المكان الذي جاء منه، سوف لن يصل إلى وجهته أبداً ..."[3]. طرح الكاتب في هذا الجزء أحداث متسلسلة بدءًا بعودة جوزافين إلى الفلبين بعد أن كانت في الكويت، بعدها تحدث عن المنزل الذي نشأ وترعرع هوزيه/عيسى حيث يقول واصفاً إياه: "تغطي المساحات الخالية، حول، البيوت الثلاثة، أشجار كثيرة كالمانجو والموز والجوافة والبابايا والجاكفروت، تحيطها من كل جانب أشجار البامبو مشكلة بسيقانها الطويلة سوراً لأرض مندوزا".[4]

على الرغم من أن هوزيه لم يكن فرحاً بمعيشته في الفلبين إلا أن أمه كانت دائماً تحدثه عن والده راشد مذكرة إياه أن وضعه في الفلبين غير دائم، إضافة إلى أنها دائماً ما تحاول أن ترسم له

---

[1] – سعود السنعوسي: ساق البامبو، ص51.

[2] – المصدر نفسه، ص53.

[3] – المصدر نفسه، ص53.

[4] – المصدر نفسه، ص56.

صورة عن الجنة التي تنتظره هناك، يقول هوزيه عن أمه التي كانت دائماً تحبب إبنها في والده ووطنه: "أقنعتني أمي أننا نعيش في الجحيم، وأن الكويت هي الجنة التي أستحق".[1]

- **الجزء الثالث:**

هذا الجزء قد عنون بـ "عيسى ... التيه الأول"[2]. استهل الكاتب بمقولة من كل جزء حيث يقول: "الشك في الله يعني الشك في ضمير المرء، وهذا يؤدي إلى الشك في كل شيء"[3]. تدور الأحداث هنا في البيت بعد رحيل ميرلا وترك هوزيه لدراسته متجهاً للبحث عن عمل رغم أن أمه منعته. سرد هوزيه هنا جميع الأحداث التي كانت تدور في عمله الجديد، تأثر كثيراً بالأبراج الصينية، "الأرض، النار، المعدن، الخشب، الماء"[4]. كان يقوم باتخاذ قراراته من هذا الأساس.

كان هوزيه دائم الانتظار لليوم الموعود، اليوم الذي يذهب فيه إلى بلاد أبيه البلاد الجنة التي تنتظره. كان "التيه" عنوان هوزيه من عمله إلى الرجوع إلى أمه، أو البحث عن فرصة تعيده إلى بلاد والده الكويت. فعلى الرغم من أن جميع الأحداث التي كانت تدور حوله لا تسرهُ إلا أنه ظل متمسكاً بوطنه لأن كلام أمه كان يعطيه وميض من الأمل في الحياة.

---

[1] – سعود السنعوسي: ساق البامبو، ص71.

[2] – المصدر نفسه، ص129.

[3] – المصدر نفسه، ص129

[4] – المصدر نفسه، ص134

- **الجزء الرابع:**

وقد عنون "عيسى ... التيه الثاني"[1]. استهل الكاتب بمقولة خوسيه ريزال كالعادة "تسلط البعض لا يمكن حدوثه إلا عن طريق جبن الآخرين"[2].

تدور أحداث القصة هنا عند وصول هوزيه/عيسى للكويت حيث تقول "مطار كئيب ذلك الذي حطت فيه الطائرة اليوم الأحد، الخامس عشر من يناير 2006، الوجوه تشبه مطارها، كئيبة، بشكل لم أجد له تبريراً[3]. لقد كان تائهاً في المطار لم يفهم أين هو وأي وجهة يأخذ. كان حاملاً أوراق الثبوتية وجواز سفره، ويتحرك من طابور لأخر ليعرف كيف سيدخل إلى الكويت بعد عناء وجد غسان الذي لم يتعرف عليه لولا لافتة كان يحملها مكتوب عليها "ISA".

عاش عيسى مع غسان لمدة شهر لأنه لم يتجه إلى بيت جدته مباشرة لأن المنزل كان في حالة نفسية مزرية، والحالة حداد، والأهم من ذلك مزاج الجدة في ذلك الوقت.

سرد لنا الكاتب في هذا الجزء جميع الأحداث التي دارت حول عيسى وغسان واصفاً جميع الأشياء التي كان يراها في "الكويت" "الشوارع" "المطاعم" حتى أشكال موجوه الناس، كما تحدث عن العادات والتقاليد والأعراف مقارنين الفلبين بالكويت.

---

[1] – سعود السنعوسي: ساق البامبو، ص183.

[2] – المصدر نفسه، ص183.

[3] – المصدر نفسه، ص185.

- **الجزء الخامس:**

عنوانه "عيسى ... على هامش الوطن"[1]. وككل جزء يضع المؤلف في بدايته مقولة بطل الفلبين القومي "حياة مكرّسة لهدف، حياة لا طائل من ورائها، هي كصخرة مهملة في حقل بدلاً من أن تكون جزءًا من صرح"[2] بعدما كانت الكويت تلك الجنة التي تنتظر عيسى كما وعدته والدته أضحت عكس ذلك حيث أنها لا تتسع له حتى بالعيش بها كشخص عادي لا كوريث عائلة الطاروف الوحيد. قرر الرحيل من منزل الجدة وذلك بسبب المشاكل التي سببها لهم وعاش مع صديق له، بعد ذلك انتقل للعيش وحيداً وقد مرت عليه سنة كاملة في هذا البلد الذي لم يشعر يوماً بالانتماء إليه رغم أنه بلده الأم بل كان يرجوا العودة إلى الفلبين حيث يقول في ذلك: "كانت فكرة السفر إلى الفلبين لزيارة بيتنا قد بدأت تتقافز داخل رأسي"[3] لكن بعد حصوله على عمل تراجع عن العودة حيث إنصرف عن فكرة السفر إلاّ أنه لا يزال بعيداً عن الاندماج فيه. لقد فتحت الكويت ذراعيها لعيسى بعدما التقى الأصدقاء المجانين الذين قابلهم سابقاً في الفلبين. بحيث كانوا يعتبرون المتنفس الوحيد بالنسبة له. عاش معهم أيام إلى أن وصل ذلك اليوم المشؤوم اليوم الذي كشفت فيه حقيقته من غير قصد، حقيقة أصله وانتمائه حيث كان أحد أصدقائه هو من سرب الخبر، مما دفع بعائلته إلى طرده خارج الكويت.

كتب عيسى أول رواية له مستوحاة من تجربة حياته كما يرجع الفضل إلى أخته خولة التي قدمت له يد العون كانت سنده الوحيد ومؤيدته رغم نفور كل عائلة الطاروف منه الذين ظنوا أنه السبب الوحيد والرئيسي لمشاكلهم.

---

[1] – سعود السنعوسي: ساق البامبو، ص291.

[2] – المصدر نفسه، ص191.

[3] – المصدر نفسه، ص312.

- **الجزء السادس:**

عنون بـ "عيسى ... على الوراء يلتفت"[1]. يقول خوسيه هنا "إن لفظت الديار أجسادنا ... قلوب الأصدقاء لأرواحنا أوطان"[2]. عنون هذا الجزء بهذا العنوان لأن عيسى عاد أخيراً للفلبين للعيش والاستقرار هناك، ودّعه كل من غسان وأصدقائه المجانين، عمته هند وأخته خولة على المطار إذ يقول: "عند بوابة المغادرة، حاملاً جوازي الأزرق، يلتفت حولي المجانين من بينهم بابا غسان وإبراهيم سلام. هذا يعانقني، وذلك يصافحني بحرارة، والآخر يدسّ في يدي مظروفاً من المال ..."[3]. عاد إلى بلاد أمه يكمل روايته بها، تزوج ميرلا إبنة خالته، أنجبا منها ولد. عاش في منزلهم القديم مع عائلته وعائلة أمه. لكن ظلّ دائماً تائهاً بين هويتين الفلبينية والكويتية.

ثانياً: الموضوعات الفرعية:

لقد حاول المؤلف سعود السنعوسي أن يقدم لنا من خلال روايته ساق البامبو نظرة عامة وشاملة عن أزمة الهوية ورفض المجتمع، كما قدم لنا الروائي بعد الأبعاد جعلها تكمل البعد الرئيسي.

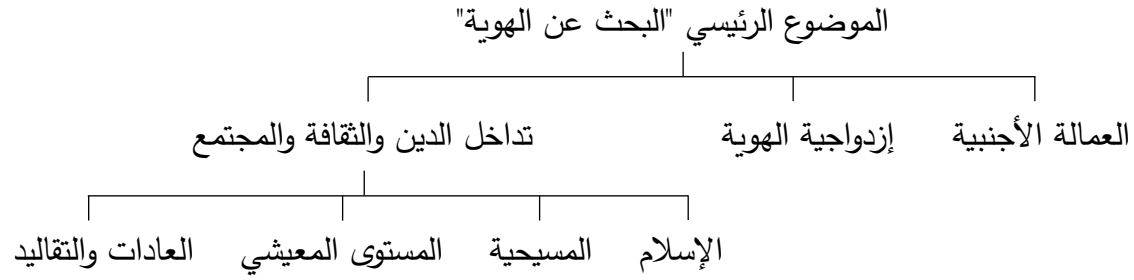

[1] – سعود السنعوسي: ساق البامبو، ص391.

[2] – المصدر نفسه، ص391.

[3] – المصدر نفسه، ص394.

1- العمالة الأجنبية في دول الخليج:

تعد العمالة الأجنبية في البلدان العربية ظاهرة هجرة مؤقتة أو استقرار دائم ببلد غير مسقط رأس العامل، ويقصد بها الانتقال لأجل العمل بدولة أخرى.

ساق البامبو رواية مميزة للكويتي سعود السنعوسي تتناول القضايا التي تواجه الأفراد من خلال العمالة الأجنبية في الكويت والمشكلات التي تصادفهم في حياتهم، وقضايا الاعتراف بإنسانية الإنسان، في ظل التفاوت الطبقي.

وضح السنعوسي الطبقية التي يعيش فيها المجتمع الكويتي والمشاكل التي يخلفونها، فهم يستغلون بطريقة لا إنسانية ويتعرضون للتعسف والاستغلال والإهانات لها أول ولا آخر لها، وساعات العمل الطويلة والازدراء، والاستغلال الجنسي للإناث.

كشفت الرواية قضية حساسة وهي العمالة الأجنبية في دول الخليج، وما يتعرض له العمال المهاجرون من استغلال، فبطل الرواية لا يروي قصته الشخصية فقط، إنما سرد قصة والدته، التي كانت تعمل خادمة في بيت الطاروف: "منذ سنوات تملأ نتائج الأبحاث الخاصة بما يتعرض له العمل المهاجرون في منطقة الخليج من تعسف واستغلال، سواء كانت الأجور غير المدفوعة أو العنف الجسدي أو الأشغال القسرية"[1]. فالعمال المهاجرون يتعرضون لضغوط كثيرة إثر عملهم، ذلك بالإضافة إلى النظرة الدونية التي يقابلهم بها أرباب العمل، فالمجتمعات الخليجية تنظر للآخر الآسيوي على أنه مهمش لا قيمة له في الحياة: "أتاحت الرواية للمتلقي أن يطلع على عوالم مسكوت

[1] – نهرين الموسوي، "المهاجرون في الخليج ... عنصرية عرقية وعمالة رخيصة"، مأخوذ من الموقع قنطرة، 2015، ar.qantara.de.

عنها في المجتمع العربي، حيث غزت عادات سيئة فيه، يمارسها بعض العرب ضد الآخر الآسيوي"[1].

إنّ الاستغلال البشع التي تمارسه معظم الأسر في المجتمع الخليجي جعل من العمالة الأجنبية موضوعاً حساساً، لا يمكن السكوت عنه.

كانت جوزافين والدة بطل الرواية إحدى ضحايا هاته القضية، تقول: "تشتم ... تصرخ ... تلعن، أما أنا فأقوم بكنس الزجاج من بلاط المطبخ، وأقضي نهارا كاملاً في نفض الغبار وتنظيف المكان"[2] إذ أنّها عاشت في منزل الطاروف أيام صعبة، لم تستطع أن ترفضها أو تثور ضدّها، بسبب وضع أهلها في الفلبين، إذ تمثل هي المعيل الوحيد لهم.

لقد كان راشد هو ما منح جوزافين الصبر، تقول: "كان وجوده السبب الوحيد الذي منحني الصبر على منزل السيدة الكبيرة وسوء معاملتها لي"[3] فلم يكن أمامها خيار آخر، سوى التحمّل والصبر. حيث كان يتحدّث إلى الخادمة في الأدب والفن وشؤون بلاده السياسية، في حين لا أحد هناك يتحدّث مع الخادمات بغير لغة الأوامر: "هاتي ... اغسلي ... اكنسي ... امسحي ... جهزي ... أحضري!"[4].

---

[1] – ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، عالم المعرفة، الكويت 2003، ص 36.

[2] – سعود السنعوسي، ساق البامبو، ص 36.

[3] – المصدر نفسه، ص 35.

[4] – المصدر نفسه، ص 32.

2- إزدواجية الهوية:

"إسمي Jose

هكذا يكتب، ننطقه في الفلبين، كما في الإنكليزية، هوزيه، وفي العربية يصبح، كما في الإسبانية، خوسيه، وفي البرتغالية بالحروف ذاتها يكتب، ولكن ينطق جوزيه، أما هنا، في الكويت، فلا شأن لكل تلك الأسماء باسمي حيث هو ... عيسى!"[1].

عيسى إسم عربي وهو إسم الرب الذي تؤمن به أمه المسيحية، تقول: "إن كنت ستختار دين أمك فإن عيسى هو ابن الرب ... وإن كنت ستختار دين أبيك فإنّه نبي مرسل من عند الله ... في الحالتين يجب أن تعتزّ بإسمك."[2].

أما إسم خوسيه فهو تيمناً بخوسيه ريزال، بطل الفلبين القومي.

لم تكن مشكلته مع الأسماء أمراً ملحاً للحديث حوله ولا أسباب التسمية، فمشكلته كانت في ما يختفي وراء هذه الأسماء، وتمثلت أزمة الهوية التي عاشها بطل الرواية، في إزدواجية هويته، التي عانى منها، والتي ذكرنا بها الروائي منذ البداية، فعيسى الذي ولد في الكويت من أب كويتي عاش حياته في الفلبين مع والدته وأهلها، فحمل منذ الصغر هويتين.

تاه عيسى في الفلبين بين عائلة أمه ليكون غريب اللغة واللسان والدّين عند العرب، وتاه تيهاً ثانياً في الكويت ليجد أنّ أسرة أبيه تتنكّر له بملامح وجهه الفلبيني، يقول: "وإلغاء لقب الطاروف،

[1] – سعود السنعوسي، ساق البامبو، ص 17.

[2] – المصدر نفسه، ص 72.

من أوراقي الثبوتية، والبحث عن مكان يأويني بعيداً عن بيت العائلة، أو تسوية الأمر مالياً وإرسالي إلى بلاد أمي من جديد."[1]

لم يستطع عيسى تحديد هويته، بسبب ما عاشه من مآسي، فرغم حديث أمّه الذي كان يواسيه في الفلبين، عن جنة الكويت التي سيُحقق أحلامه فيها، وجد نفسه منبوذاً، لا يعترف به أحد من أسرته كفرد منهم ومن هنا كانت الأزمة الحقيقية التي عاشها عيسى: "وأنا أقف على أرض ليست أعرفها، باحثاً عن أرض تأويني بين بلاد أبي وبلاد أمي."[2]

ومن شدّة الاحتقار والاستعباد الذي عاشه جعله يمثل نفسه بسيقان البامبو، يقول: "لو كنت مثل شجرة البامبو، لا انتماء لها، نقتطع جزءاً من ساقها ... نغرسه، بلا جذور، في أي أرض ... لا يلبث الساق طويلاً حتى تنبت له جذور جديدة ... تنمو من جديد ... في أرض جديدة ... بلا ماضٍ ... بلا ذاكرة ... لا يلتفت إلى اختلاف الناس حول تسميته ... كاوايان في الفلبين ... خيزران في الكويت ... أو بامبو في أماكن أخرى."[3]. فتأصيل الهوية يجعلنا نبحث في أعماق الجذور ضرباً في أعماق التاريخ، فالهوية لها جذور قبل أن يكون لها ساق، إذ لا ساق دون جذور.

أزمة عيسى النفسية اتجاه هويته في بيت الطاروف كانت دائمة التجدّد لرفض الجميع له، حيث يقول: "ما كدت أقبل اسمي الجديد، عيسى الطاروف متحرراً من أسمائي وألقابي القديمة، هوزيه وال ARABO وابن العاهرة حتى وجدت من يسيئه أن أحمل اسمه، أنا لست ميندوزا الذي ليس له

[1] – سعود السنعوسي، ساق البامبو، ص 222.

[2] – المصدر نفسه، ص 224.

[3] – المصدر نفسه، ص 94.

أب، أنا عيسى، ولي أب اسمه راشد الطاروف."[1] فعيسى كان دائماً يبحث عن السبيل لإثبات هويته داخل بيت الطاروف.

3- تداخل الدين والثقافة والمجتمع:

الدين:

الدين من أهم مقومات الهوية، حيث يجد عيسى بطل الرواية نفسه، تائها، خاصة أمام الدين الذي ينتمي إليه، هل هو مسلم بالولادة نسبة إلى أبيه الكويتي، مسيحي بالتنشئة، أو بوذي بالاختيار.

3-1- الإسلام:

إن الإسلام هو شريعة إلهية يقوم بتنظيم المجتمعات من خلال القواعد التي يعمل على إرسائها من خلال إتباع ما جاء في القرآن الكريم، فهو يعمل إلى إرساء قيم التسامح، الصبر، العدل، نبذ العصبية، الحق وتقوم علاقة المسلم بربه من خلال الصلاة.

كما أن الإسلام يدعو إلى الأخوة، على الرغم من اختلاف الناس في ألوانهم وأجناسهم، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2]. كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا فرق بين عربي ولا أعجمي ولا أبيض ولا أسود إلاّ بالتقوى".

تناول رواية ساق البامبو جميع القضايا التي تواجه الأفراد من خلال العمالة الأجنبية في الكويت والمشاكل التي تصادفهم. عيسى بطل الرواية نموذج لهؤلاء إلاّ أنّه بفضل إيمانه استطاع

[1] – سعود السنعوسي، ساق البامبو، ص 225.

[2] – سورة الحجرات، الآية 10.

مراجعة جميع المعضلات التي واجهته في الكويت بلا أبيه حيث يقول: "كل شيء يحدث بسبب ولسبب يعجبني إيمان أمي، ويثبت لي قولها يوماً بعد يوم أن لا مكان للصدفة في أقرارنا"[1].

إسلام عيسى كان عن قناعة لأنه دائماً كان ينقض الديانات الأخرى المسيحية، والبوذية، وهذا ما جعله يبحث عن طريق الحق الذي وجده في الإسلام، يقول: "أهملت والدتي تربيتي دينياً، على يقين بأن الإسلام ينتظرني مستقبلاً في بلاد أبي، ورغم أنّ أبي همس بنداء صلاة المسلمين في أذني اليمنى فور ما حملني بين يديه، في المستشفى"[2].

أحب عيسى الدين الإسلامي من خلال صديقه إبراهيم الذي حببه في الإسلام من خلال تبينيه له العادات الدينية مثل الصلاة والصوم والرفق بالآخرين، كان إبراهيم يبين له الطريق الذي يستوجب اتباعه لكي يصبح مسلماً، يقول عيسى: "لم أطلبه شيئاً قط وهبّ لمساعدتي هو يناديني بأخي، وحين سألته عن السبب أجاب: المسلم أخو المسلم"[3].

إنّ الاختلاف بين الديانات جعل من عيسى يبحث دائماً عن الذّين الذي يجعله سعيداً ويجعل حياته أفضل، لأنّ عيسى هو مزيج من الديانات، هويته تشكلت من البوذية، المسيحية والإسلام، فهذا الاختلاف كون لعيسى هويته الدّينية وجعله دائماً يصبو إلى معرفة الإسلام وجميع ما يتميز به.

ذكر سعود السنعوسي في روايته مجموعة من الظواهر الإسلامية المتمثلة في الصوم وعيد الفطر وعيد الأضحى، والانعكاسات النفسية التي خلفتها في نفسية عيسى، حيث يقول: "في أحد أيام

[1] – سعود السنعوسي، ساق البامبو، ص 215.

[2] – المصدر نفسه، ص 63.

[3] – المصدر نفسه، ص 312.

رمضان، قبل منتصفه بقليل، اجتمعت العائلة في بيت جدّتي لتناول وجبة رمضانية خاصة، تأتي بعد وجبة الإفطار وقبل وجبة السحور، يطلقون عليها إسماً غريباً"[1].

وصف عيسى الأجواء الرمضانية في بيت جدّته والعادات التي يقومون بها عند إقبال هذا الشهر الكريم يضيف عيسى قائلاً: "الله أكبر ... الله أكبر إلى جانب موعد الصلاة، يعلن هذا النداء عن بدء الصيام."[2] وهي الميزة التي يتميز المسلمون في هذا الشهر الفضيل من بداية الصيام بنداء الصلاة إلى الإفطار كذلك بنداء الصلاة.

3-2- المسيحية:

المسيحية أو النصرانية، هي ديانة ابراهيمية وتوحيدية متمحورة في تعاليمها حول الكتاب المقدس، وتعتبر المسيحية ديناً طقسياً، أي أنّه يترافق مع مجموعة من الطقوس تتم غالباً في الكنيسة التي هي مركز الحياة الدينية، وتختلف هذه الطقوس في ظاهرها باختلاف الليتورجيا المتبعة وباختلاف العادات الشعبية أيضاً.

عالج سعود السنعوسي قضية الاغتراب الدّيني من خلال ثلاث مستويات خلال رحلته في البحث عن الله في الأديان الثلاثة، فعيسى عاش متخبط بين المسيحية والبوذية والإسلام، ففي بلاد أمّه كان مسيحياً فور وصوله إلى أرض الفلبين، فعلى الرغم من أنّ والده همس بنداء صلاة المسلمين في أذنه اليمنى فور ما حمله بين يديه، في المستشفى لكن والدته جعلته مسيحياً وهذا ما قاله عيسى:

[1] – سعود السنعوسي، ساق البامبو، ص 264.

[2] – المصدر نفسه، ص 268

"فإنّ ذلك لم يمنع والدتي، فور وصولنا، من أن تحملني إلى كنيسة الحي الصغيرة ليتم تغطيسي في الماء المقدس في طقوس تعميدي مسيحياً كاثوليكياً"[1].

لقد اختارت آيدا أن يكون أن يكون هوزيه/عيسى مسيحياً بعدما أهملت والدته تربيته دينياً معللاً ذلك بأنها: "على يقين بأن الإسلام ينتظرني مستقبلاً في بلاد أبي"[2].

قدمت آيدا على تعميد عيسى في الكنيسة عند بلوغه الثانية عشر، يقول: "حين بلغت الثانية عشرة وذلك للتثبيت، وفقاً للأسرار السبعة المقدسة، والتي لم أجر منها إلا ثلاثة، هي التعميد والاعتراف والتثبيت"[3] وعلى الرغم من تعميده مسيحياً إلاّ أنه لا يوجد شيء يميز علاقته بالكنيسة فزياراته لها قليلة جداً.

رغم كل الطقوس التي أجراها إلاّ أنه لم يكن متأكد من كونه مسيحياً، يقول: "هل يجعل مني التعميد مسيحياً، وهل قبلت المسيحية ديناً في طقس حضرته في حين كانت ذاكرته لا تتسع لشيء بعد"[4] ولكن مع ذلك أحب عيسى المسيح حتى أصبح يراه في أحلامه مبتسماً، يرتب على رأسه يكف لا تزال بها أثر المسمار الكبير الذي اخترقها يوم تثبيته في الصليب. ليسأل عيسى: "هل أكون مسيحياً"[5].

---

[1] – سعود السنعوسي، ساق البامبو، ص 63.

[2] – المصدر نفسه، ص 63.

[3] – المصدر نفسه، ص 67.

[4] – المصدر نفسه، ص 65.

[5] – المصدر نفسه، ص 65.

تربى عيسى على المسيحية وعُمّد في الكنيسة إلاّ أنّه كان دائماً تائه في رحلته للبحث عن ذاته، يقول: "لكل منا دينه الخاص، نأخذ من الأديان ما نؤمن به، ونتجاهل ما لا تدركه عقولنا، أو نتظاهر بالإيمان، ونمارس طقوساً لا نفهمها خوفاً من خسارة شيء، نحاول أن نؤمن به"[1].

3-3- المستوى المعيشي:

تصور رواية ساق البامبو الفوارق الطبيعية بين عائلة راشد والد عيسى، عائلة بورجوازية ذات مكانة راقية في الكويت ليست فاحشة الثراء لكنها إذ ما قيست مع نظيرتها عائلة جوزافين أم عيسى تبدو فاحشة الثراء حيث أنّ عائلتها من مجتمع فقير معدم يبحث عن قوت يومه وسداد عيشه.

راشد الطاروف كاتب مثقف يحلم بكتابة روايته الأولى، ذو مكانة مرموقة في مجتمعه، اعتاد الثراء والمال، أما جوزافين فهي فتاة حالمة طموحة همها الوحيد إكمال دراستها لتعمل في وظيفة محترمة. تقول: "لم أتخيل قط بأنني سأعمل خادمة في يوم ما."[2] لكن الظروف ساقت بها لترك بلادها وأهلها للعمل في الخارج من أجل توفير لقمة عيش لأهلها "فحين تحالف الجوع مع مرض والدتها والديون التي أثقلت كاهل والدها المقامر الذي أفنى ماله في تربية ديوك المصارعة لم يجد الأبوان بداً من تقديم ابنتهم البكر"[3] آيدا إبنتهم البكر، ذات السابعة عشر آنذاك، مجبرة، إلى سمسار يوفر لها فرصة عمل في مراقص وحانات المنطقة مقابل ثمن بخص.

شاءت الأقدار أن تهاجر جوزافين للعمل في الكويت بعدما ذاقت عذاب العيش مع والدها المدمن على المقامرة هي وأختها الكبرى، حيث كان مصيرها في التغرّب عن بلادها وأهلها بأفضل

---

[1] – سعود السنعوسي، ساق البامبو، ص 65.

[2] – المصدر نفسه، ص 19.

[3] – المصدر نفسه، ص 19.

بكثير من مصير أختها آيدا وهو العمل في الملاهي الليلية كراقصة أو حتى بنت هوى. يقول عيسى: "ساقت الظروف والدتي لترك بلادها وأهلها وأصدقائها للعمل في الخارج، وعلى صعوبة هذا، بالنسبة لفتاة في العشرين من عمرها، فإنّ مصيرها أفضل بكثير من الذي سيقت إليه أختها، آيدا"[1].

سافرت جوزافين للكويت للعمل هناك تاركة وراءها كل شيء، لتضمن لأهلها حياة ليس بالضرورة أن تكون كريمة بل حياة وحسب، بعد أن ضاقت بهم السبل. عملت جوزافين في منزل راشد الطاروف حيث يقول عيسى واصفاً إياه: "كان بيتاً ضخماً الذي عملت فيه أمي، مقارنة مع البيوت هناك، بل إن البيت الواحد هنا يتسع لعشرة بيوت أو أكثر من تلك البيوت التي جاءت منها والدتي"[2].

تحدثت جوزافين لإبنها عن قساوة عيشها، وكيفية تنقلها من بيت لآخر، ومن بلاد إلى أخرى بغية تحصيل لقمة عيشها من خلال خدمة المنازل. هربت جوزافين من شبح الفقر الذي كان يطاردها لتجد نفسها في ورطة أكبر ولتعود مرة ثانية إلى المستنقع الذي هربت منه. حيث تم إرجاعها للفلبين بعد أن رفضت أسرة الطاروف بقاء الخادمة زوجة الإبن بينهم، خشية من المحيط.

3-4- العادات والتقاليد:

تمنح الحضارة استمرارية الأمم كما تمنح لأصحابها ومعتنقيها الثقة في النفس. فالإبداعات الحضارية دائمة الحركة والتأقلم. ففي رواية ساق البامبو عند انتقال عيسى إلى الكويت تكلم لنا كثيراً عما يميّز هذا المجتمع يقول عيسى: "في أبريل 2008 استحالت الكويت إلى ساحة إعلانية ضخمة، اللافتات بأحجامها المختلفة تملأ أرصفة الشوارع بأعداد هائلة، تتضاعف أعداد اللافتات كل يوم

[1] – سعود السنعوسي، ساق البامبو، ص 19.

[2] – المصدر نفسه، ص 30.

حتى بت المحها في كل مكان، لا أكاد أدير وجهي إلى أي ناحية من دون أن تلتقط عيناي إحداها."[1] يضيف قائلاً: "عرفت لاحقاً أنّ مهرجان اللافتات الإعلانية في الشوارع هذا يسبق الانتخابات البرلمانية لديهم."[2] هنا يتحدث عن ميزة يتميز بها الكويتيون في أحيائهم من خلال اللافتات الإعلانية للانتخابات البرلمانية ما تشكل هويتهم الحضارية في الوطن العربي.

طرح الروائي قضية الهوية التي عاشها عيسى في الكويت مبرزاً المظاهر والعادات والأعراف في المجتمع الكويتي. يقول: "لفت انتباهي بشدة تبادل القبلات هنا وبين الرجال حين يحيّون بعضهم البعض. في الحقيقة هي ليست قُبلة تماماً، لكنها توشك أن تكون، يلامس الرجل بخدِّه خدَّ الآخر في حين يصافحان بعضهما البعض، فهمت من غسان أنها طريقة التحية التقليدية هنا ليس بين الرجال وحسب، بل إن النساء أيضاً يفعلن فيما بينهن"[3].

تحدّث أيضاً عن مناسبة تقليدية معروفة في الكويت تدعى "قريقعان" تقليد سنوي في الليالي الثلاث التي تسبق منتصف شهر رمضان، يطوف الأطفال على البيوت يردّدون الأهازيج ويتم توزيع الحلوى عليهم من قبل أصحاب البيوت.

إضافة إلى أنّه وصف لنا الأجواء الدينية الإسلامية في الكويت بعد انتهاء شهر رمضان: "انتهى شهر رمضان، جاء عيد الفطر ... رائحة البخور والعطور العربية تنتشر في الجو."[4] هذه هي مراسيم الأعياد الدينية في الوطن العربي لتجسد من خلالها ثقافتها وهويتها الإسلامية.

---

[1] – سعود السنعوسي، ساق البامبو، ص 339.

[2] – المصدر نفسه، ص 339.

[3] – المصدر نفسه، ص 203.

[4] – المصدر نفسه، ص 274.

الخاتمة

الخاتمة:

لقد احتلت الرواية مكانة بارزة لما لها من قدرة فائقة على الغوص في عالم الواقع، هذا ما لمسناه في رواية سعود السنعوسي "ساق البامبو" التي جسدت المشاكل والعوائق المجتمعية في ظل البحث عن الهوية، معتمداً بذلك شخصيات وأحداث متسلسلة رصدت لنا التحركات التي عاشها عيسى التائه في زحام البحث عن الذّات، وإبراز مجموعة من المشاعر التي تمثلت في نفسية الكاتب من حزن واغتراب.

تبين من خلال دراسة الرواية أنّها متنوعة ومتعدّدة المواضيع، متخذة البحث عن الهوية في مقدمة المواضيع، أما الأبعاد الثانية فنجد: العمالة الأجنبية في دول الخليج، إزدواجية الهوية، تداخل الدين والثقافة والمجتمع "الإسلام، المسيحية، العادات والتقاليد، المستوى المعيشي".

اعتمد هذا الخطاب الروائي على السرد لأنه العمود الفقري لكل نص روائي واِتسمت لغته في بعض الأحيان بالحوارية لخلق بعض الإنسجام في النص.

وأخيراً لا أعتقد أن هذا البحث قد بلغ درجة عالية من النضج، لكن الذي نأمله أن نكون قد أوضحنا بعض ملامح الدراسة الموضوعاتية.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- القرآن الكريم، برواية ورش عن الإمام بن نافع.
- إبن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي، لسان العرب، مج 15، دار صادر، ط 1، بيروت، 1997.
- المعجم الوسيط، دار اللغة العربية، القاهرة.
- سعود السنعوسي، ساق البامبو، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، بيروت لبنان، 2012.

المراجع:

- إبن فارس، مقاييس اللغة، ج 6، دار الفكر، بيروت.
- بشير بوجيرة، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري، ج1، دار الغرب للنشر والتوزيع، د ن، 2002.
- جميل حمداوي، المقاربة النقدية الموضوعاتية.
- حفصة بوطالبي، عالم أبو العيد القصصي، دار الأمّة، الجزائر، 2007.
- سعيد علوش، التيار الموضوعاتي وتفجير المكبوت، الفكر العربي المعاصر، بيروت، ع 22، 1986.
- عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعي، نظري وتطبيق، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1990.
- غسان بديع السيد، النقد الموضوعاتي، مجلة علامات، ع 22.
- ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، عالم المعرفة، الكويت، 2013.

- محمد عزام، النقد الموضوعاتي الموقف الأدبي، دار الكتاب العربي، دمشق، ع365، 2000.
- محمد عزام، وجوه الماس البنيات الجذرية في أدب علي عقلة عرسان، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998.
- مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنتماء القومي، العدد 23.
- نبيل أيوب، نص القارئ المختلف، ط 1، مكتبة لبنان، 2007.
- نهرين الموسوي، "المهاجرون في الخليج ... عنصرية عرقية وعمالة رخيصة"، مأخوذ من الموقع: قنطرة.
- يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط 1، 2007.